

تهدد أزمة كورونا القضايا النفسية و الاجتماعية في قطاع التعليم

الدكتور سميح رياض الفلاحى عليغ
جامعة على كره الإسلامية

الملخص

إن الطبيعة البشرية ترتسم بماهية الأحوال الراهنة، مربوطة بعضها ببعض حيث تقدم بسيرها المتواضعة و تخلف بآثارها المتفاقمة، وأن أزمة كورونا قد جاءت بنتائج مختلفة من إيجابيات وسلبيات و قد تركت أثرها البعيدة في مجالات التعلم إلى حد كبير . فإن الطبيعة الإنسانية لا تقدم صورة جامدة بل تتحرك قادرة على التشكل و التمثل بمبادرة الظروف الرصينة. فقد جاءت هذه الورقة لتوضح طبيعة الإنسان و علاقتها مع الحالات الرقيقة في ضوء الشريعة الإسلامية مع تبين نظرية علماء النفس العصبيين. ثم تصور جائحة كورونا وأثرها في قطاعات التعليم، و الطرق التعليمية الناتجة في خضم هذه الأزمة، ثم تعرض ماهية الدور الإيجابي للتعلم المدمج اجمالاً، ثم دورها السلبي التي جاءت عقب هذا الزمن المتوتر تفصيلاً. و ختام الورقة لا ينتهى إلا بمجموعة النتائج التابعة للمنهج البحث العلمى المصحوب بالهوامش للبحث و يؤيد التعليم عن بعد إلى جانب دون انقطاع عن المدارس والمعاهد التي تنتج الآثار السلبية عند الطلاب.

الكلمات المفتاحية : طبيعة الإنسان-المجتمع- فيروس كورونا- التعلم المدمج- إيجابيات- سلبيات .

نبذة موجزة عن طبيعة الإنسان و علاقتها مع الأحوال

إن الإنسان خلق على الفطرة السليمة التي تصوغ بقيم حليلة ، كقوله تعالى " لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم " (التين : ٤)، و هو يقدر على فهم أسرار هذا الكون و مبادئه و يرتجف من الشعور بالذنب في الوهلة الأولى كما قول عز من قائل " فألهمها فجورها و تقواها " (سورة

و تقوى هذه النظرية العميقة بالحديث حينما يعرض قصة الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك أحساسهم بالإثم . و قد تحدث القرآن في هذه الأزمة النفسية في أسلوب بديع . كقول عز وجل : " و على الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت و ضاقت عليهم أنفسهم و ظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه . ثم تاب عليهم ليتوبوا " (التوبة : ١١٨) فهو أبدع صورة قد رسمت بدقة بالغة لشعورهم بالهفوة قبل أربعة عشر قرناً كما تصوّرهما كتاب علم النفس في هذا الزمن . و على الرغم من وعي الإنسان بالمعصية و عذاب الضمير شغله الوصول إلى أسرار ما حوله عن الحلول إلى أسرار نفسه فهو يأتي في صورة جدلية كما قوله تعالى : " و كان الإنسان أكثر شئئ جدلاً " . (الكهف : ٥٤)

و أما بالنسبة لعلم النفس فهو يجمع ما بين العقل ، والسلوك ، والشعور واللاشعور^١ و أما الأهداف فيقول الدكتور أحمد عزت راجح : " هي فهم السلوك و تفسيره ، التنبؤ بما سيكون عليه السلوك ، ضبط السلوك و التحكم فيه بتعديله و تحويله و تحسينه " .^٢ و أما القضايا الاجتماعية فهي تهدف إلى أنماط العلاقات الاجتماعية و التفاعل الاجتماعي و ثقافة الحياة اليومية . و كما شاهدنا أن وجود البشرية مرتبط بالشعور النفسية و الاجتماعية من حيث لا ينفصل بعضها عن بعض فلا يقبل إلا حسناً و لا يقدم إلا في سير متواضع . و لما واجه الصعوبات و الأزمات غير متوازية فيحاول الفرار منها كما تدل قصة هرب موسى بعد ما رأى اهتزاز العصا . فالإنسان يسعى إلى حلول النعم دون النقم .

جائحة كورونا و أثرها العميقة على الصحة النفسية

و لما حلت أزمة كورونا الأرض و أرخت أجنحتها إلى جميع انحاء العالم فلم يبق مجال من مجالات الحياة البشرية الفردية أو الجمعية إلا و قد ألمت بها ، ولم تلج بالطبيعة إلا و قد تركت أثرها المدى على الصحة النفسية كما حذر أطباء و علماء نفسانيون في هذا الصدد ، و يوضح رورى أوكونور باحث جامعة غلاسكو نظريته بقوله : " الإمعان في العزل الاجتماعي ، والوحدة ، والقلق ، والتوتر ، والإعسار المالى ، هي بمثابة عواصف قوية تجتاح الصحة النفسية للناس " و يضيف بقوله إلى : " أن البطالة تهيء صاحبها للإصابة بالتوتر والإكتئاب ، فيلجأ البعض إلى

١ منصور حسين ، محمد مصطفى زيدان ، الطفل والمراهق ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة الأولى

١٩٨٢ ، ص ٢١

٢ راجح ، أحمد عزت ، أصول علم النفس ، القاهرة ، دارالكاتب العربى للطباعة و النشر ، و الطبعة السابعة

١٩٦٨ ، ص ١٧

تعاطى الكحول والمخدرات و لعب القمار ، و قد تدفع البطالة البعض إلى التشرذم^٣

فقد تأثر الإنسان بهذه الجائحة ضعفاً و حرماناً على مستوى النفس والاجتماع إلى حد ما . و أما بالنسبة اضطرابه في ميادين التعليم بسبب انتشار فيروس كورونا فهو إغلاق المدارس والجامعات في جميع أنحاء البلد حينما يتأثر حوالى مليار و ستمائة مليون طالب في مائة و تسعين دولة أو أكثر عبر قارات إذا ما لجأت إلى إغلاقها على الصعيد الوطنى.و يمكن أن نعبر هذا العصر بزمان الاضطراب حيث يواجه البشر الصعوبات و العقبات .

التعليم المدمج في عقب كورونا و دوره الإيجابي

و على الرغم من ذلك يقدم العصر والمجتمع باستيعاب التكنولوجيا الذى يساعد الطلاب بالتلقى مباشرة عن طريق التعليم المدمج. و في هذا الإطار حينما اجتاحت كورونا حواجز الزمان والمكان تحول التعليم عن بعد عن أسلوب " التلقين " إلى أسلوب " تفاعلى". فإن التعليم عن بعد ليس وليد ظهور أزمة كورونا بل هو جاء في أواخر القرن الثامن عشر في شكل المراسلة ولكن التعليم المدمج الآن يجعل التعليم من العملية التعليمية " الجامدة " عملية أكثر جذابا و أوسع معرفة، كما هى تساعد الطلاب على متابعة المعرفة العميقة دون توقف و بسرعة الاختزال.

و لهذه المتطلبات التعليمية وضعت أنظمة و مؤسسات مجموعة من البرامج التى تشمل تطوير مناهج ابتكارية وبرامج دراسية عالية و طرق التعليم العالى عبر الشبكات الإنترنت الفسيحة . مثل بلاك بورد ، (Black Board) و منصة " إدمودو " (Edmodo) و إدراك ، وجوجل كلاسروم (Google Classroom)، سى سا (See Saw) و مائند اسبارك (Mind Spark) وغيرها كثير من البرامج التى توفر بيئة آمنة للتواصل والتعاون بين الطلاب والمعلمين و تبادل المحتوى التعليمى وما إلى ذلك من المحتويات الدراسية. و قد أصبحت الكفاية المعرفية الحديثة أساسية بالنسبة للمعلم في هذه الفترة و ما بعدها لأن المدرس لن يؤدي دروه البالغ في أداء مهماته دون معرفة بكفاية التكنولوجيا و الثقافية والتواصلية والمنهجية حتى يعتبر بعض علماء " الأمية في هذا العصر " بجهالة المعرفة التكنولوجية التفاعلية بالنسبة للمدرسين.

٣ فيليبباروكسى ، " فيروس كورونا : علماء يحذرون من آثار الوباء على الصحة النفسية " مراسلة الشؤون

الصحية ، ١٦ أبريل ، ٢٠٢٠ www.bbc.com/arabic/science-and-tech-٥٢٣١٤١٧٢

٤ راجع لهذه المعلومات إلى : مقالة بقلم هانى زايد ، « التعلم عن بعد : في مواجهة « كورونا المستجد » بتاريخ

١٧ مارس ، ٢٠٢٠ - www.scientificamerican.com/arabic/articles/news/distance-learning-versus-

/covid١٩

التعليم عن بعد في ظل الحجر الصحي و دوره السلبي

و بالرغم من هذه الطرق الميسورة في التعليم المدمج ، يؤثر الانقطاع عن الدراسة الطلاب مؤثرا بالغا حيث لا يعوضهم عن الفرص التي فاتتهم اثناء هذه الفترة. و ستكون هذه الفجوة تبعات جسيمة على القدرات المعرفية للطلاب ستلازمهم دوم حياتهم . فإن توثيق العلاقات مع الآخرين و قضاء وقت مع الزملاء والتركيز في الدروس أسهل كثيرا و أكثر تأثيرا عند ما يكون الطلاب في غرفة واحدة في التعليم التقليدي. و يشير الدكتور خالد حافظ إلى بعض مساوىء في التعليم المدمج ولو كان معترفاً ببعض مزاياه و يقول :

- الوقت والعمل المرتبط بالتعلم لا يكون وجهًا لوجه مع المدرب.
- قد يكون الدعم الإداري للتعلم عن بعد في حاجة لتلبية احتياجات أكبر عدد من الطلاب.
- يجد بعض الطلاب التعلم عن بعد انعزالياً.
- يعتبر عدم وجود الهيكلية و الحاجة إلى مستوى عالي من التحفيز أو المبادرة تحدياً للطلاب.^٥

و لو كان التعلم عن بعد قد تفوق الآن حيث يقدر على مشاركة أكبر عدد من الطلاب في أونة واحدة ولكن قد تؤدي هذا التوقف من الضغوط النفسية بسبب افتراض العزلة في ظل الحجر الصحي ، إلى تأخر النمو المعرفي والعاطفي والاجتماعي ، وقد يوصل بعضهم إلى افتقار و احتياج بسبب هذه الأزمة. وكل هذه القضايا تسمى بالقضايا النفسية والاجتماعية في مرحلة المعرفة التعليمية. و يصف بعض الخبراء مثل ويم فان لانكر ، الأخصائي الاجتماعي بجامعة لوفان في بلجيكا، هذا الوضع بأنه " أزمة اجتماعية وشيكة"^٦.

و لو كان التعليم عن بعد يتميز ببعض مزاياه كما قد مر بنا ولكن الانعزال عن المدرسة ولو كان مؤقتاً يرتبط ببعض الآثار السلبية التي تضطر الطلاب إلى انقطاعهم عن المجتمع و قضاياهم كما يُحرم الأطفال و المتعلمون من فرص للنمو و التطور في مجال التعليم. و كذلك تتأثر تغذيتهم سلبيًا و حرمانًا حينما أغلقت المدارس التي كانت تهتم بتوفير الوجبات المجانية أو المنخفضة. و في هذا الوقت يواجهون الأهل صعوبة كبيرة في أداء الواجبات المهمة المنزلية ، ولا سيما بالنسبة إلى الأهل الذين يعانون من عدم استعداد التعليم والموارد.

٥ كروكيت ، مارغريت ، و فوستر ، جانيت ، ترجمة أبودية ، خالد حافظ « تدريب المدرب و حزمة المصادر التدريب في مجال إدارة الوثائق والسجلات ، مارس ٢٠٠٨ ، ص ٣١

٦ روبسون ، ديفيد ، صحفى - بي بي سي ، " فيروس كورونا : كيف يؤثر الوباء على حياة الأطفال و مستقبلهم " ١٢ يونيو ، ٢٠٢٠ www.bbc.com/arabic/vert-fut-١٤٣٨١-٥٣٠

و كذلك ضعف الربط بالشبكة و غياب الانتفاع بالتكنولوجيا يكون عائقًا كبيرًا و يعرض عدم المساواة أمام المتعلم المستمر و خاصة بالنسبة إلى الطلاب الذين يعيشون في مناطق ريفية أو ينتمون إلى عائلات فقيرة. و قد يؤدي بعض الطلاب إلى السرقة العلمية و الغش عند إجراء الاختبارات حينما لا يهتم المعلم بإدارة الوقت. و قد ينكب الطلاب على ضغط الأقران و تعاطى المخدرات في وقت حينما يترك الأهل العاملون وحيدين في البيوت في حال عدم توفر أى امكانيات بديلة. و منهم من لا يتمكن من تأدية عملهم في الميدان الاقتصادي تفرغًا بالغًا بسبب توجهاتهم الغالية إلى رعاية أطفالهم كما لا تتمكن بعض النساء العاملات من الذهاب إلى العمل لنظام الرعاية الصحية بسبب تأديتهن بأمور الأطفال.

ولم يكن فحسب إلى هنا ، بل تتعدى المسائل حينما يزداد الضغط على المدارس التي لا تزال مفتوحة حتى الآن لأن إنشاء و إدارة مساق التعلم المدمج يستغرق وقتًا طويلاً ، و كذلك يزيد ميل الطلاب إلى التوقف عن الدراسة بسبب انفصالهم عن المعرفة التعليمية لفترة طويلة. و كذلك يتعارض الكثير من الطلاب التحديات للعزلة الاجتماعية التي لها دور رئيسى بالغ في التعلم والتطور لأن المدارس تعتبر مراكز هامة لممارسة الأنشطة الاجتماعية والتفاعل البشرى على حد بالغ.

ولا يمكن غض الطرف عن مضرات الشاشة و استخدام الميكروفونات التي تؤثر الصحة النفسية مباشرة حينما يضطر الطلاب إلى قضاء أكثر أوقاتهم لمتابعة الدراسة أمام الشاشة و باستخدام الميكروفونات. و بناءً على الدراسة نستنتج أن التعليم المدمج الذى جاء بعد أزمة كورونا بشكل كبير ، ولو كانت بدايته قبل التاسع عشر ، يهدد القضايا الاجتماعية والنفسية إلى جانب في شتى المناحي التعليمية مع ارتفاعه المستوى إلى تفاعلية و انجذابية شكلاً و مضموناً.

المراجع

- الجوهري، محمد، إشراف أحمد زايد، " الإنتاج العربى فى علم الاجتماع: قائمة ببلوجرافية مشروحة ١٩٢٤-١٩٩٥"، القاهرة، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ٢٠٠١.
- راجح، أحمد عزت، أصول علم النفس، القاهرة، دارالمعارف، ١٩٩٩.
- كروكيت، مارغريت، و فوستر، جانيت، ترجمة أبودية، خالد حافظ " تدريب المدرب و حزمة المصادر" التدريب في مجال إدارة الوثائق والسجلات، مارس ٢٠٠٨.
- منصور حسين، محمد مصطفى زيدان، الطفل والمراهق، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الأولى ١٩٨٢.
- www.bbc.com/arabic/vert-fut-٥٣٠١٤٣٨١
- www.bbc.com/arabic/science-and-tech-٥٢٣١٤١٧٢
- www.scientificamerican.com/arabic/articles/news/distance-learning-versus-covid١٩